حيـــاة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الإسلامية

للمستشرق الإنجليزي ترماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوي، محمد الزمرلي، عبد العزيز عبد المجيد(1)

بهذا الحماس وذلك الجد تقـدمت الدعوة الإسلامية حتى لم تمض على الإسلام سنة هناك (في المدينة) إلا وكانت كل أسرة عربية قد ساهمت بدخول بعض أفرادها في حوزته، ماعدا شعبة واحدة من بني الأوس وهي التي استمرت منعزلة بعيدة عن الإسلام وذلك بتأثير أبي قيس بن الأسلت الشاعر

وفي السـنة التالية حينما جاء موسم الحج وفدت إلى مكة طائفة من معتنقي الإسلام حديثاً، وعددها ثلاثة وسبعون رجلاً، ويصحبهم جماعة من مواطنيهم كفار يثرب، وقد عهد إلى هذه الطائفة أن تدعو محمداً (ص) إلى أن يلجأ إلى يثرب تجنباً من غضب أعدائه، وأن يبايعوه على أنه رسولهم وقائدهم، وفد إلى مكة لهذه المناسبة العظيمة كل معتنقي الإسلام الأولين الذين كانوا قد لاقوا الرسول من قبل في الموسمين السابقين، ومعهم مصعب ابن عمير معلمهم، فأسرع على أثر وصوله إلى الرسول، وأخبره بالنجاح الذي لاقته بعثته. ويقال إن أمه لما سمعت بقدومه بعثت إليه رسولاً فقال له: « أيها الابن العاق، أتدخل مدينة فيها أمك من غير أن تبدأ بزيارتها؟ » فكان جوابه: « كلا، إنني لا أزور منزل أحد قبل رسول الله ». ثم ذهب إلى أمه بعد أن فرغ من تحية الرسول (ص) والتحدث إليه؛ فقالت له أمه زاجرة: « إنك إذاً لا تزال خارجياً منشقاً ». فقال: « أتبع رسول الله ودين الإســلام الصحيح ». فردت عليه قائلة: « أقانع أنت بطريق الشقاء الذي انتهجته في الحبشة وفي يثرب؟ ». أدرك حينئذ أن أمه تفكر في أمر سجنه فخاطبها متعجباً: « ماخطبك؟ أتكرهين إنساناً على أن يغادر دينه؟ إن كنت تدبرين أمر سجني

(1) أنظر العدد ٣٠١

فإني سأقتل أول من يضع يده علي ». فقالت له: « أخرج إذاً من عندي » وأخذت تبكي. فتأثر مصعب لذلك وقال: « أماه، خذي مني نصيحة المخلص! إشهدي أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله ». ولكنها أجابته بقولها: « والنجوم اللامعة، لن أكون قط حمقاء بدخول دينك. إني أنفض يدي منك ومما أنت فيه، وأعتصم بعقيدتي »

وكان قد ضرب موعد ليجتمع سراً بالعقبة من أسلموا في العام الماضي وذلك لكيلا يثيروا حولهم شبهات القرشيين أو عداوتهم؛ وجاء محمد ومعه عمه العباس الذي كان لا يزال وثنياً حينئذ ولكن سمح له أن يحضر هذا الاجتماع السري. افتتح العباس هذا الاجتماع الجليل موصياً بابن أخيه، ومشيراً إلى أنه ينتمي إلى أسرة من أشرف أسرات قبيلته التي وإن كانت لم تقبل تعاليمه إلا أنها ما زالت تحميه؛ أما وقد أبى إلا الانحياز إلى أهل يثرب واللحاق بهم فإن عليهم أن يتدبروا الأمر بحكمة قبـل أن يأخذوا العهد على أنفسهم، وأن يصمموا ألا ينكثوا عهدهم متى قبلوا تحمل هذا الأمر الخطير، فاحتج البراء بن معرور الخزرجي قائلاً: إنهم واثقون من عزمهم على حماية رسول الله، وتوسل إلى العباس أن يذكر ما يريدهم أن يعاهدوا الرسول عليه

بدأ محمد يقرأ عليهم بعضاً من القرآن، ويحثهم على أن يصدقوا في دينهم الذي اعتنقوه من وحدانية الله ونبوة محمد رسوله، ثم سألهم بعد ذلك أن يمنعوه وأصحابه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: « نعم! والذي بعثك بالحق لنمنعك كما نمنع أنفسنا، ونعاهدك على طاعتك، وأن تكون لنا هادياً. فنحن أبناء الحروب، وأهل الحلْقة(1)، ورثنا كابراً عن كابر ». وهكذا أخذ الجميع يد الرسول واحداً بعد آخر، وبايعوه على الطاعة.

ولما علمت قريش بهذا الاتفاق السري عادت إلى اضطهاد المسلمين مرة أخرى، فنصحهم الرسول أن يهاجروا من مكة، وقال لهم: « اخرجوا إلى يثرب فإن الله قد جعل لكم إخواناً في تلك المدينة، ودارا تأمنون بها » فخرجوا إلى يثرب أرسالاً، حيث لاقوا إكراماً عظيماً، وكان إخوانهم في الدين من أهل يثرب

(1) بفتح فسكون: السلاح أو الدرع فقط

يتنافسون فيما بينهم كل يريد أن يحظى بشرف الإكرام ، ويقدمون لهم ما يحتاجون . ولم يمض شهران حتى هاجر من مكة تقريباً كل المسلمين — وقد بلغ عددهم مائة وخمسين — اللهم إلا أولئك الذين قبض عليهم أو سجنوا ، وأولئك الذين لم يستطيعوا الخلاص من الأسر . وتحدثنا الأخبار عن أحد أولئك المسلمين — صهيب — الذى لقبه الرسول « بأول ثمرات اليونان » (ولقد كان عبداً إغريقياً أعتقه سيده فجمع ثروة عظيمة بطريق تجارته الرابحة) . وذلك أنه لما عزم صهيب على الهجرة من مكة استوقفه أهلها وقالوا له : « أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك » فقال لهم صهيب : « أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ » قالوا : « نعم » ، وهاجر هو تاركاً كل ثروته . ولما بلغ محمداً صلى الله عليه وسلم الخبر قال : « ربح صهيب ، ربح صهيب »

أخر محمد صلى الله عليه وسلم هجرته من مكة — قاصداً بذلك ولا ريب أن يصرف أنظار أعدائه عن أعوانه المخلصين — حتى تنبه إلى مؤامرة مدبرة ضده ، وأدرك أنه إن أبطأ فى الهجرة ربما قضى عليه ، فعمل على الهجرة بحيلة

وكان أول ما فعل بعد أن وصل إلى يثرب أو المدينة كما سميت بذلك منذ تلك[1] الحادثة (مدينة الرسول) أن بنى مسجداً ليكون مكاناً للعبادة ، وموضعاً لاجتماع أتباعه ، وكان المصلون أولا يولون وجوههم شطر بيت المقدس ، وربما كانت هذه سياسة اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم لاكتساب اليهود . وقد حاول محمد (ص) بطرق أخرى مختلفة أن يجتذب إليه اليهود ، فقد أمر باحترام كتابهم المقدس ، ومنحهم حرية العبادة ، والمساواة فى المعاملة ، وحاول أن يصافيهم ولكنهم قابلوا كل ذلك بالتحقير والتسفيه . ولما أصبح الأمل فى إدماجهم فى الإسلام عقيماً واتضح أن اليهود لن يعترفوا بمحمد (ص) رسولاً لهم ، أمر محمد أتباعه أن يولوا وجوههم فى صلواتهم شطر الكعبة بمكة (قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون ، ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ؛ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين)

ولقد كان لتغيير القبلة فى الصلاة مغزى أعمق مما يظهر لأول وهلة ، فقد كان ولا شك مبدأ حياة جديدة فى الإسلام . إذ أصبحت الكعبة فى مكة المركز الدينى لكل المسلمين كما كانت منذ الأبد مكان الحج لكل قبائل جزيرة العرب . وهناك مغزى آخر شبيه بالسابق فى أهميته ، وذلك هو إدماج عادة العرب القديمة — الحج إلى مكة — ضمن ما افترضه الإسلام وذلك لأن الحج فرض على كل مسلم مرة واحدة على الأقل فى العمر

وفى القرآن آيات كثيرة تثير روح الشعور بالتكوين القومى وتحث العرب على أن يقدروا الميزة التى منحوها بإنزال الرسالة الإلهية بلغتهم وعلى لسان واحد منهم

« إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » « وكذلك أوحينا إليكم قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها ، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير » ، « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ، ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون ، وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ، فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً »

(يتبع)

(١) يعنى بالحادثة الهجرة

معهد التناسليات
معهد التناسليات لصاحبه الدكتور ... فرع القاهرة
بعمارة ... رقم ٤٦ شارع المدابغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع ...
والأورام والسرطان التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب
... زيارة الحساسية طبقاً لأحدث الطرق العلمية
والعيادة من ١٠-١ ومن ٤-٦ . ملاحظة : يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للمقيمين بعيداً عن القاهرة
... الأشعة ...